المحاضرة الثالثة

مفهوم الثورة عند الفلاسفة :

لا يوجد التحديد العلمي الواضح لمفهوم الثورة ،و كل ما يمكن قوله هو أن هناك محاولات ،فالكلمة دارجة في الاستخدام اليومي ـ ان أقرب كلمة لمفهوم الثورة المعاصرة هي (الخروج) بمعنى الخروج لطلب الحق ،أو دفعا للظلم ،و هنا مغادرة حالة عدم الرضا الحيّز الخاص و حملها الى الحيّز العام .

هذا المصطلح يردّد بكثرة وبمفاهيم مختلفة ،و رؤى متباينة ،فقد تطور مفهوم الثورة لدى المفكرين على مرّ التاريخ.

نشأ أصل الكلمة في علم الفلك ،فالكلمة بمعناها اللاتيني الدقيق ـمظهرة للحركة الداخلية للنجوم ،و الكلمة هنا لا تشير الى العنف و ظل يتطور تدريجيا حتى اصبح يعني اضطرابا شعبيا ،ولكنه اتخذ المعنى السياسي عام 1789عام اندلاع الثورة الفرنسية.

تطور مفهوم الثورة لدى المفكرين :

ـ يعدّ (افلاطون) من أوائل الفلاسفة الذين اهتموا بدراسة التغيّرات التي يمكن أن تطرأ على البناء السياسي .

ـ اما (أرسطو) فكان سبّاقا في دراسته للثورات ،حيث قدم أوّل محاولة شاملة لدراسة الثورة و أفرد لها حيّزا كبيرا في مؤلفه الشهير (السياسة) و يمكن القول أنه قبل مبدأ وجود الدولة في هذا المؤلف و لكنه أقر بأن الأفكار الخاطئة تؤدي الى الاحساس بعدم الرضا و بالتالي حدوث انقلاب سياسي قد يعمل على تغيير شكل الدولة بما يترتب على ذلك من نتائج سياسية ،أي أن الثورة ظاهرة سياسية تمثل عملية أساسية لإحداث التغيير الذي قد يؤدي الى استبدال الحالات الاجتماعية.

يقول "ارسطو" في كتابه "السياسة" ان أنماط الحكم كلها معرّضة للثورة ،ـ الحكم المتوازن ـالحكم الدستوري ـ الحكم الأرستقراطي...وهذه تعتبر عنده مترادفات ،و تتمثّل فيها عناصر العدالة و لكن يتعرض للثورة عندما لا يتلاءم نصيب الحكام أو الشعب من الحكم مع تصورهم المسبق عنه.

ـو يقسم "أرسطو" الثورات الى نوعين : نوع يؤدي الى تغيير نظام معين الى نظام حكم آخر ،و نوع يغيّر الحكّام في اطار بنية النظام القائم .

ـ ثم بدأ مفهوم الثورة يأخذ معان جديدة بفضل التطورات التي طرأت على فرنسا في أواخر القرن 18 ,فقد برهنت هذه التطورات على أن الثورة مرحلة من مراحل التطور التاريخي و أن حتمية الحركة الثورية تكمن في عدم ملائمة النظام القديم و ضرورة استبداله بنظام آخر أكثر فعالية وأكثر تعبيرا عن آمال الشعب ـ مفهوم "ماركس" كمثال .

ـ عرّف "كرين برلتون" الثورة في كتابه "تشريح الثورة" بأنها عملية حركية دينامية تتميز بالانتقال من بنيان اجتماعي الى آخر و أنها تغيير عنيف في الحكومة القائمة بشكل يتجاوز الحدّ القانوني .

ـ و عرفها "هاري ايكلشتاين" بأنها محاولات التغيير بالعنف أو التهديد باستخدامه ضد سياسات في الحكم أو ضد حكام أو ضد منظمة ما .

ـ بينما يشير "بيتر أمان " الى الثورة على أنها انهيار لحظي أو على المدى الطويل لاحتكار الدولة للسلطة يكون مصحوبا بانخفاض الخضوع و الطاعة .

ـ وعرفها "كارل فردريك" بأنها الاطاحة بنظام سياسي مستقر بصورة عنيفة وفجائية .

و قد أشار "هيجل" في كتابه " العقل و الثورة " و في تعريفه لها على أنها الثورة على الأوضاع القائمة و أنها حركة تتسم برفض و انكار ما هو قائم فعلا ،و انها اعادة لتنظيم العلاقة بين الدولة و المجتمع على اساس عقلاني .

الجانب الاجتماعي لمفهوم الثورة :

فيما يتعلق بهذا الجانب لمفهوم الثورة لابدّ من ذكر اسهامات " ماركس" و "انجلز" حيث لم يقتصر هذا الاسهام على بلورة نظرة محددة للثورة الفرنسية بل تعدّى ذالك الى تطوير نظرية في الثورة الاجتماعية ذاتها .

فقد نظر الى الثورة الفرنسية فوجد أن طابعها السياسي كان أكثر وضوحا و تأثيرا من طابعها الاجتماعي ،فالحكم على أيّ ثورة يجب أن يكون نابعا من أهداف اجتماعية معينة .

و قد حاول "ماركس" و "انجلز" اضافة نسق تاريخي للتطور الاجتماعي من خلال التركيز على الأساس المادي ،حيث فسرا التاريخ بأنه صراع بين الطبقات لا الأجناس ،فإحلال نظام انتاجي بنظام آخر يؤدي الى ظهور ضغوط سياسية و تغييرات تتبعها الثورة .

ففي هذا السياق نجد من يستخدم مصطلح الثورة كتعبير للدلالة على تغييرات فجائية و جذرية تتم في الظروف الاجتماعية و السياسية في مجتمع ما حيث تشير هذه الظروف الى تغيير نظام حكم قائم و تغيير النظام الاجتماعي و القانوني و قد يتم هذا بصورة فجائية و عنيفة .

ـ و ترتبط الثورة بالتحرّر من الاستعمار و تحقيق حلم الاستقلال و استعادة الحرية المسلوبة و لتغيير الوضع الاجتماعي المفروض على الشعب الذي يعاني من واقع بائس و مزر نتيجة هيمنة الاستعمار .

ـ كما ترتبط الثورة بمفهوم الحركات الاحتجاجية أي اتفاق جماعة من الناس على احداث التغيير الاجتماعي و السياسي و تكون تعبيرا عن الحس الاجتماعي بأزمة اجتماعية نسعى لتحقيق نتائج سياسية معينة .

ـ مفهوم الحركة الاجتماعية يرتبط بالثورة من خلال محاولات فئات العمال و الفلاحين و كذا الحركات الوطنية التي تسعى الى احداث تغييرات راديكالية في النظام الاجتماعي .

و تعمق الثورة تحوّلات ثقافية و اديولوجية واسعة لدى فئات الشعب حيث يصعب الحديث عن فكر ثوري و دوافع ثورية دون الحديث عن التغييرات التي تؤدي الى تصور نمط الحياة يقضي على ظلم لا يحتمل .

لذا فان الثورات الشعبية بطبيعتها ليست ثورات أحزاب ايديولوجية تسعى الى الحكم ،لان الثورات الشعبية ليست حزبية لكن الأحزاب التي تنشأ بعد الثورة و تسيطر على السلطة تنشئ تاريخا مبنيا على التصور الشعبي لبناء وضع اجتماعي جديد يتناسب و متطلبات المجتمع .

ـ و قد ربط عالم الاجتماع الفرنسي " اميل دور كايم" مفهوم الثورة بظاهرة "الفوران الجمعي " و التي تعبر عن تحرك جماعي ،لا يمكن تجاهله ،و يتضخم بصورة ملحوظة من دون ضمان الاستمرار طويلا في حالة الفوران ،و هي التي تتكون أساسا فيما بين الطبقات الأدنى في المجتمع ،فالشعب يعيش حياة مزرية مرتبطة بالفقر في الأساس الى جانب نقص الحرية .

ـ و وفقا ل"هيندز" فان الثورات تمثل طليعة الأساليب غير التقليدية في الحركات الجماهيرية المنظمة التي تحدث تغييرات جذرية في النظام السياسي السائد باستخدام العنف ،و تتطلب الحركات الثورية ـكما أشار"هيندز"ـ شروطا أساسية لاشتعال الثورة من أهمها : أساليب اجتذاب الجماهير و توجيهها ،و يصاحبها عادة توتر و صراعات .

و يرى "روجرز بيترسون" مؤلف كتاب "المقاومة و التمرد" أن الثورة تبدأ على شكل احتجاجات ثم تأخذ بعدا شعبيا تكسر حاجز الخوف أو ينسى الناس الخوف ،و من ثم تتحوّل الى غضب شعبي عارم تطلق عليه صفة ثورة .

ـ و ترتبط الثورة بمفاهيم الانقلاب أي تستخدم أساليب عنف رسمية لنقل السلطة من فئة الى أخرى و غالبا ما يكون الانقلاب باستلاء العسكر على السلطة الشرعية .

مفهوم الثورة العلمية :

لم يقتصر استخدام مصطلح الثورة على التغييرات في النظم الاجتماعية و القانونية فحسب بل استخدمه بعض المفكرين للتعبير عن تغييرات جذرية في مجالات غير سياسية كالعلم و الفن و الثقافة الأمر الذي يشير الى أن الجوهر المقصود من مصطلح الثورة هو"التغيير" .

فعن مفهوم الثورة العلمية يقول مؤرخ العلوم "دومينيك لوكور" : ولد مفهوم الثورة العلمية مع تاريخ العلوم نفسها في القرن الثامن عشر استخدم لاول مرة عام 1727 اطلقت على الثورة الشاملة في الهندسة ثم انتشرت الكلمة للحديث عن فيزياء "نيوتن" ثم في دائرة معارف فلسفة الأنوار ثم أصبح لكل علم ثورته.

يستعرض "لوكور" مفهوم الثورة العلمية فيوضح ان التغيير العلمي هو قطيعة بين نموذجين علميين و ليس تقدما تدريجيا و تراكميا للمعرفة ،هو حلول المشاكل في علم ما .و الأزمات هي شرط مسبق لظهور نظرية علمية جديدة .

و تتعدد المفاهيم بتعدد مجالات الحياة ،فنجد مفهوم الثورة الصناعية الذي تم عند الانتقال من الآلات المشغلة يدويا الى الآلة المشغلة ذاتيا .

كما نجد مفهوم ثورة تغيير العادات و التقاليد التي تتغير ببطء شديد خاصة في المجتمعات التقليدية وشبه التقليدية .

و قد عرفت الحداثة نوعين من هذا النوع :

الثورة الذهنية : تلك الثورة التي أعقبت ظهور المطبعة ،فجعلت المعارف متداولة بين الجمهور و هكذا حدّثت الذهنيات على نحو غير مسبوق و لولا المطبعة ما كان لفلسفة الأنوار أن تجد طريقها الى وعي أكثر الناس عددا و عملت على تهميش اللامعقول ـ من وجهة النظر الفكرية الحداثية ـ في تاريخ اوروبا و العالم و انتقلت من شعار "كل شيء دين" الذي ساد في القرون الوسطى الى شعار "كل شيء دنيا"

حيث انتقل من انتقل من الغيبيات الى مجال البحث و التنقيب و التجريب و التمحيص النقد اللازم للعصور الحديثة.

ـ الثورة على العادات والتقاليد العتيقة : هذه هي الثورة الثانية التي عرفتها الحداثة حيث مثلتها ثورة الشباب الطلابي و العمالي في فرنسا في ماي 1968 فحررت تحت تأثيرها فرنسا كل المحرمات المتوارثة ،ألغت جميع العقوبات الجنسية ماعدا جرائم الاغتصاب ،تغيرت كل المظاهر الأخلاقية و التقاليد الفرنسية لأنها طبقت مطالب ثورة 1968 أثناء رئاسة "جيسكار ديستان" .

الهدف العام للمحاضرة :

استعراض آراء الفلاسفة لمفهوم الثورة

تحديد الجانب الاجتماعي للثورة

مفهوم الثورة العلمية

المراجع :

ثورة عيرت وجه العالم رمزي المنياوي

الثقافة والثورة محمود أمين العالم

الوجه الآخر للثورات العربية ناديا سعد الدين

مشكلة الفلسفة زكريا ابراهيم

انشطة التقويم :

اسئلة تتعلق بالمحور العام للمحاضرة

اسئلة تتعلق بعناصر المحاضرة

كتابة مقال تناقش فيه الآراء الواردة في المحاضرة